

## اللغة: بين التعبير والتأثير في نظرية الأفعال الكلامية

حسين رمضان حنيت

### ملخص

تتناول هذه الورقة البحثية نظرية الأفعال الكلامية. وتركز الورقة على النقلة التي شهدتها نقاشات فلسفة اللغة، حيث انتقلت النقاشات حول دور اللغة من دورها في التعبير الى دورها في التأثير، أي دورها المساهم في تغيير العالم، وأنها ليست وسطاً لتبادل الأفكار والمشاعر فحسب، وإنما أيضاً أداة تغير في العالم وتؤثر في العلاقات والأفعال الإنسانية. وتشير الورقة الى أهمية دور هذه الدراسات في إطار نظرية الأفعال الكلامية التي صاغها جون أوستن، وبلورها جون سيرل. ثم تنتهي ببعض الآراء والمآخذ التي وجهت لهذه النظرية.

### الكلمات المفتاحية:

فلسفة اللغة، الأفعال الكلامية، التداولية، الطقس العرفي، الاستلزام الحواري، الفعل الإنجازي.

### Abstract

This paper discusses Speech Acts theory. It focuses on the turn that took place in the philosophy of language debates. Those debates concluded that language is not only a medium of communication; it is also an instrument for making change. It changes the world, and it affects human relations and actions. The paper refers also to the importance of those debates in Speech Act Theory context framed by John Austin and accomplished by John Searle. It concludes with some views and criticism of the theory.

### Keywords:

Philosophy of Language, Speech Acts, Pragmatics, Conversational Implicature, Illocutionary Act.

## تمهيد

تحاول الدراسة هذه تقديم نظرية الأفعال الكلامية وذلك بالارتكاز على أربعة محاور، تبدأ الدراسة بذكر أبرز مرحلتين مرت بهما النظرية عند كل من جون لانكشو أوستن الذي مهّد للنظرية، وجون رودجر سيرل الذي فجّر مضمونها أكثر وصاغ مباحثها. إذ كانت نشأتها الأولى مرتبطة بالسياق التحليلي اللغوي عند فلاسفة التحليل، من خلال تأثر أوستن بفلسفة فتغنشتاين والفلسفة التحليلية ومواقف كل من راسل وفريغه التي ساهمت في بروز هذه النظرية. ثم التحولات التي شكّلت مبادئ هذه النظرية بدءاً بتكونها وظروف نشأتها ثم تطورها ونضجها، وانتهاءً بما خلصت إليه ثم المساهمات التي صبّت في بناء النظرية بعد أوستن وسيرل، وخصوصاً الإضافات التي قدمها بول غرايس في مبدأ التعاون الحوارية وشروط نجاح عملية التواصل اللغوي. مع الإشارة إلى وجود أوجه تشابه بين ما تنادي به النظرية وبين علم البيان في السياق العربي وتقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، وهذا ما يفسر بروز سمات مقابلة لمفاهيم التداولية التي تركز على العلاقة القائمة بين المتكلم والمستمع، ومفاهيم مناسبة للمقام والاستلزام الحوارية، ثم تخلص هذه الورقة إلى مناقشة لبعض الانتقادات التي واجهتها النظرية والمآخذ المتعلقة بها وما يعيبها من الجانب الفلسفي أو اللغوي.

تتفرع نظرية الأفعال الكلامية عن اللسانيات الخارجية التي تعنى بالجانب التداولي للغة أي ما يتعلق بالوظيفة التواصلية اللغوية، وهذه الوظيفة الجوهرية لا يمكن فصلها عن طبيعة النفس البشرية، فهي ثابتة رغم التطور اللفظي أو الدلالي نتيجة التطويع المستمر للغة لتتناسب الوسط التي تستخدم فيه. ومن تعريف ابن جني (934 - 1002م) أن اللغة في جانبها التواصلية لها حدّ مرتبط بالمتكلمين في مختلف اللغات، يقول: "أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>1</sup>. وبشكل أساسي إن طبيعة اللغة أكثر ما تتجلى في الاستخدام كوسيط للتعبير والبقاء.

لكن المدارس الفلسفية اهتمت بدراسة اللغة من منظور فلسفي، وهي مدارس نشأت في القرن الماضي منها مدرسة فرانكفورت ومدرسة فيينا ومدرسة أوكسفورد، إلا أنّ هناك بعض المواقف التي برزت من قبل لمجموعة

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، الجزء الأول، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، 1993. ص34.

من الفلاسفة التحليليين أمثال فتغنشتاين (1889-1951م) وفريغه وكارناب، حيث اجتمع هؤلاء على أن الفلسفة قائمة على التحليل، وهذا الأخير يجري بواسطة اللغة في محاولة لرصد الدقة والوضوح في استخدام اللغة كوسيلة لفهم العالم، وفهم علاقة اللغة بالمنطق والفكر، لكن هذا الفهم إشكالي، وهذه الإشكالية نتجت عن أشكلة اللغة نفسها، فهذه اللغات التي نتواصل بها والمسماة بالطبيعية يراها بعض الفلاسفة أنها غير قادرة على فهم العالم والتعبير عنه بوصفها تحمل بعضاً من الغموض، ويجب أن يجري الاتفاق على لغة صناعية رياضية أو صورية يمكنها أن تكون أداة دقيقة في الفلسفة التحليلية.

أدت هذه النقاشات إلى ردود أفعال فلسفية تجاه إمكان دراسة اللغة نفسها وتجاه علاقة اللغة فعلياً بالعالم الخارجي "خارج اللغة"، وعلى قرب من هذه القضايا برزت الروايات حول دور اللغة في العالم كوسيط مقارنة مع دورها الذي يتعدى الوساطة والذي يدخل في عكس الواقع.

### مفهوم القضية في فلسفة اللغة

إنّ الحديث عن القضية Proposition في فلسفة اللغة كأحد وسائل الخبر، يدعو إلى استحضار مكوناتها حسب الرؤية الأرسطية. إذ تتألف القضية الواحدة من موضوع ومحمول ويضاف اليهما السور والحكم، وقد رأى أرسطو "أن الحمل المنطقي يُعقد بثلاثة أمور، أولها معنى الموضوع، وثانيها المحمول، وأخيراً الحكم الحاصل بينهما. ولاستكمال شروط الحمل لا بد أن يكون للموضوع والمحمول معنى ما في ذهن المتلقي"

<sup>2</sup>. مثل: الأرض كروية. المحمول في العبارة السابقة هو صفة الكروية، والموضوع هو الاسم أي الأرض. ولا يمكن أن تحمل العبارة السابقة معنى إلا إذا أمكن اعتبارها قضية يمكن التحقق منها من خلال الملاحظة أو التجربة. ولكي تكون القضية المتضمنة في العبارة السابقة أو غيرها صادقة أو العكس لا بد أن يتم مطابقتها مع العالم الخارجي، فلفظة "الأرض" يقابلها كوكب الأرض ولفظة "كروية" تعبر عن صفة تتسم بها الأرض في العالم. ولهذا نقول إن القضية السابقة صادقة. مع ملاحظة أن العبارة السابقة صحيحة لغوياً. وعلى هذا المنوال أصبحت الفلسفة الوضعية عن طريق القضايا تحاول أن تقدم تفسيراً لغوياً يهدف إلى فهم العالم من خلال اللغة، وعن طريق إعمالها كأداة تعكس العالم، وتماشياً مع طبيعة اللغة كوسيلة تفكير وليس وسيلة تعبير فقط.

<sup>2</sup> هنى محمد الجزر، القضية الحملية الأرسطية وموقف المنطق الرمزي منها (فريجة نموذجاً)، مجلة جامعة دمشق، مج، 30، ع 4+3، 2014. ص 427.

ولهذا تحيلنا فكرة القضية وأنواعها ومكوناتها الى أن ننظر الى العالم ونفهمه من خلال اللغة، إضافة الى افتراض أن العلاقات والظواهر التي تحدث في عالمنا المحسوس يمكن أن نعبر عنها باللغة. وعلى هذه الافتراضات بدأت تصورات الفلسفة التحليلية. حيث بدأ الحديث فيها عن توظيف اللغة علمياً، إما عن طريق اللغة الصناعية أو الصورية في الفلسفة الوضعية أو بواسطة اللغة الطبيعية أو العادية كما في فلسفة اللغة العادية.

ارتكزت الفلسفة الوضعية المنطقية على أن جميع الجمل خبرية ولا يمكن أن تكون إلا خبرية. واعتماداً على أن اللغة العادية غير علمية، جرى الارتكاز على تمثيل القضايا باللغة الصورية. وبالتالي يجب أن تخضع كل قضية لميزان الصدق والكذب، والعبارات التي لا تخضع لهذه المعايير هي عبارات غير علمية ولا تعيها الفلسفة الوضعية أي اهتمام. فقول أحد ما:

الجو غائم اليوم

هي جملة أو عبارة تامة في التعبير والمعنى ويمكن للمستمع أن يثبت صدقها من كذبها عن طريق الملاحظة أو فعل التحقق كأن يخرج ويتحقق بعينه. وبالتالي يستنتج المستمع أن هذه المقولة صادقة أو كاذبة. وعلى أساس هذه المعايير قامت كثير من تصورات الفلسفة الوضعية لطبيعة العالم. ولذلك جرى التعامل مع العالم من هذا المنطلق، ورفضت هذه المدرسة التعامل باللغة العادية Ordinary language باعتبارها غامضة ومشوهة ولا يمكن أن تخدم تلك الوظيفة التي تؤديها اللغة الصناعية في دراسة العالم أو الظواهر.

وبالمقابل كان الأمر مختلفاً لدى فلاسفة اللغة العادية. فقد اعترض جون لانكشو أوستن على الافتراض السابق، الذي قامت عليه الفلسفة الوضعية. واعتبر أن الجمل التي نقولها في الكلام يمكن أن تنقسم الى تقريرية وانشائية، بدليل أن هناك جمل لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب، لأنها لا تعبر عن شيء قابل للتحقق، مثل عبارات الاستفهام والاعتذار والطلب. وطرح مثلاً على ذلك حين تحدّث عن مثال الزواج:

يقول الرجل:

قبلتها زوجاً لي

هذه الجملة لا يمكن أن نطلق نحكم على صدقها أو كذبها وإنما تقدم فعلاً كلامياً يغير في واقع الحال وتقع مجريات ووقائع لاحقة بسببه، وذلك وفقاً لشرط معينة. بل هي مقولة انشائية تؤدي الى فعل انجازي كما سمّاه ويطابق هذا الفعل الإنجازي مقتضى الحال كونه يقع في إطار أو سياق سماه "الطقس العرفي"<sup>3</sup>.

إذا أنعمنا النظر في دور جون سيرل في هذا الحقل، ومن خلال تركيزه على الفعل اللا قولِي "فعل التأثير في القول"، يمكن أن نلاحظ الالتفاتة عن موضوعات الجملة الخبرية ومفهوم صدقها أو كذبها، لكن البحث في اتجاه فلسفة اللغة العادية لم يقتصر فقط على تصوير العالم عن طريق التحليل اللغوي للقضايا أو الجمل التي تعبر عن الظواهر، وإنما حول دور اللغة المؤثر في هذا العالم، ووظيفتها كوسيلة إنتاج مادي فيه. وهذه القطيعة مع دور القضية في تصوير العالم وعكسه في اللغة، جرى غض الطرف عنها، وانصرف التركيز نحو دور اللغة المؤثر والقوة التي يحملها الكلام الذي نتلفظه في حياتنا اليومية، ليقال إن الأفعال الكلامية التي يتلفظ بها المتكلم هي مثال على دور اللغة المؤثر في الواقع. وتنقسم هذه الأفعال الى أقسام سنشير إليها لاحقاً.

وغير بعيد عن دور القضايا في تصوير العالم أو الواقع. يتحدث سيرل حول أعمال العقل في فهم العالم وحقيقته. وعن نقده لافتراض أن "العلم لا يصف واقعاً موجوداً وجوداً مستقلاً، بل هو يخلق دائماً الواقع مع تقدمه"<sup>4</sup>. يصبح الحديث عن الواقع وإدراك وجوده بالأساس مشكل، فكيف يمكن افتراض وجود الواقع وكيف يفهم هذا الواقع من خلال القضايا في اللغة والتي هي أيضاً مبنية على قوانين مصطلحة ووضعية. وأصبح النقاش يتساءل حول إمكاناتنا كبشر بقدرات حسية إدراكية على فهم حقيقة الواقع والعالم كما هو. وهنا نلاحظ الفرق بين المعنى الذي تقوم عليه الوضعية المنطقية بأن معنى الجملة يتحدد عن طريق التحقق منها، وبين المعنى الذي هو الاستخدام كما وصفه فتغنشتاين. وبالمقارنة بين المقولتين تتجلى الكيفية التي تتعامل بها المدرستين مع فهم العالم بالتحقق والملاحظة أو عن طريق الاستخدام.

انتقد سيرل افتراض الواقعيين الحسيين، أن اللغة تعكس العالم الذي نحن نخلقه بحواسنا وإدراكنا المحدود أي أننا نتوهم ما نسميه واقعاً، فهم يرون أن النظر الى "شجرة" وإدراكها ليس إلا تجربة بصرية تتلقاها العين عن طريق الاستجابة الحسية ثم يفسرها الدماغ. وهذا التصور يرفضه سيرل بداعي أن كيفية إدراك الشجرة

<sup>3</sup> Austin, J. L. *How To Do Things With Words*, 2nd Edition, Edited by J. O. Urmson and Marina Sbisa, Harvard University Press, USA, 1962.

<sup>4</sup> Searle, John. R. *Speech Acts: An Essay In The Philosophy Of Language*. Cambridge University Press. New York. 1969. P 45.

أو الواقع لا تعني عدم رؤية العالم الواقعي<sup>5</sup>. وينسحب هذا المثال على القدرات الحسية الأخرى المرتبطة بالحواس. فهذه العلاقة بين الفكر والواقع وإن خضعت لأوهام التشكيك بقدرة العقل على فهمه كما هو، إلا أنها بالأساس قائمة على افتراض غير حقيقي بنظر سيرل، والمحااجة بأن العقل يتوهم الواقع أو العالم ما هي إلا محااجة مغلوطة تحاول دحض عملية فهم الواقع عن طريق تفسير كيفية تلقيه بالعقل.

إن مفهوم القضية ووظيفتها في فلسفة اللغة الى جانب اللغة والعقل معاً تقودنا الى أن العلاقة بين اللغة والفكر من جهة واللغة والواقع من جهة أخرى، فما هي إلا علاقة تفاهم وحوار. وإذا كنا نفكر باللغة ونتواصل بها أيضاً لنعكس ذاتنا مع الآخرين ونفهمهم بها، فهل يستحيل أن تعجز اللغة عن فهم العالم الذي يحيط بنا ونحن أيضاً جزء منه؟ وإذا كانت اللغة وسيلة للفهم والتواصل في عوالمنا الداخلية التي نعيشها وننقاسمها مع البشر من حولنا، وهي الأداة التي نتواصل بها ونتداول بها الأفكار والمحسوسات، فهل تعجز بالمقابل عن فهم العالم الخارجي وإدراكنا له؟ وإذا كانت حدود اللغة هي حدود المنطق، وفي الوقت ذاته تعبير عما هو كائن وعما يمكن أن يكون، فما هي الحجة وراء القول إن اللغة لا يمكنها فهم العالم كما هو، ولذلك لا بد من الاعتماد على اللغات الصناعية في التعامل معه؟ يجيب راسل بأن الحاجة الى اللغة الصناعية شبيهة بحاجة العين الى المجهر، نظراً لما يشوبها من الغموض وبالتالي ما يحد من فاعليتها كوسيلة علمية دقيقة للقياس أو التفكير العلمي<sup>6</sup>.

لقد ساهمت الفلسفة الوضعية في تفسير الحقائق والوقائع القابلة للتحقق، لكنها أدارت الطرف عن القضايا أو الجمل التي لا يمكن التحقق منها واعتبرتها لغوياً في فراغ، وهذا هو المأخذ الأساسي الذي تأسست عليه الانتقادات التي واجهتها. فيما عززت تصوّرات فلاسفة اللغة العادية علاقة اللغة بالعلم، وأصبح الحديث عن دور اللغة في التواصل أكثر وضوحاً، فظهرت مفاهيم كثيرة لم تصور الوقائع المرتبطة بالعالم خارج اللغة فقط، بل بالوقائع المرتبطة بكيفية عمل اللغة ووظائفها التواصلية مثل الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري والمبدأ التعاوني وغيرها.

في خضم هذه المواقف المتباينة تجاه اللغة، تشكلت الأرضية المناسبة لفلسفة اللغة، ودار الحديث عن أن اللغة ليست مجرد أداة فقط لبيان أو توصيل الفكر ومداولته بين الأذهان، بل أيضاً كعنصر فاعل في هذا

<sup>5</sup> جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط 1، 2006.

<sup>6</sup> جمال حمود، فلسفة اللغة عند لودفيغ فيتغنشتاين، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009.

الواقع وأن اللغة يمكن أن تتأثر وتتوثر بالواقع وتغيره أيضاً، وهذا الأثر تناولته نظرية الأفعال الكلامية التي تُعدّ محور حديثنا في السطور التالية.

### المحور الأول: أوستن وبدايات نظرية الأفعال الكلامية

جاءت نظرية الأفعال الكلامية تجسيدا لموقف جون لانكشو أوستن (1911 - 1960م) المضاد لفلسفة المنطق الوضعي *Positivism* التي تسلّم بأن الجملة الخبرية هي المعيار والشكل الأساس وما سواها من أنماط الجمل هي مجرد أنماط متفرعة عنها<sup>7</sup>. وتعود بداية الممارسة الفعلية التي مهدت للنظرية عند أوستن من خلال المحاضرات التي ألقاها في جامعة هارفارد، في ثلاثينيات القرن العشرين، ونُشرت هذه المحاضرات في كتاب بعد وفاته تحت عنوان *How To Do Things With Words* كيف ننجز الأفعال بالكلمات عام 1962.

يطرح أوستن من خلال تلك المحاضرات وظيفة اللغة في إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، ودورها الآخر أيضاً في تحويل الأقوال ضمن سياقها إلى أفعال اجتماعية. مشيراً إلى دور اللغة الذي يتعدى الجانب المنوط بالتواصل، وممهداً لرؤية النظرية في دراسة اللغة كوسيلة تأثير في العالم وكأداة لفهمه.

يعود أصل مفهوم الفعل الكلامي الذي يتمحور حوله نشاط أوستن إلى التداولية أو ما يسمى بالبراغماتية *Pragmatique*. وهو مفهوم طرحه تشارلز موريس (1901 - 1979 م) كأحد العلوم التي تدرس اللغة في جانبها الاستعمالي إلى جانب علم الدلالة الذي يدرس العلامات في علاقتها بالعالم الخارجي وعلم التركيب الذي يدرس العلامات في علاقتها ببعضها، إذ أن طبيعة التداول تكمن في ربطه اللغة بالواقع، أي أن عنصر المناسبة في اللغة يتحدد طبقاً للواقع وبحسب المقام<sup>8</sup>.

كما ناقش أوستن في محاضراته الرؤية الفلسفية للقضايا اللغوية مميّزاً بين الجمل الخبرية (التقريرية) والجمل الإنشائية (التحقيقية) حين أضاف الثانية معتمداً على أن هذه المقولات ليست لها قيمة إخبارية مرتبطة فقط بالتركيب، وإنما لها دلالة منفصلة لا تستند إلى معيار الصدق والكذب، بعد أن أنكرها فلاسفة الوضعية المنطقية إذ اعتبروا أن العبارات لا يمكن أن تكون إلا خبرية (تقريرية) صادقة أو كاذبة، إلا أن أوستن كان

<sup>7</sup> سهل ليلي، نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي، التواصل في اللغات والثقافة والأداب، الجزائر، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ع 31، سبتمبر، ص (93-104)، 2012.

<sup>8</sup> بسيمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن، مجلة المخبر، الجزائر، جامعة بسكرة، ع 10، ص (99-115)، 2014.

له رأي آخر وقد استدل على طبيعة الجمل الإنشائية قبل أن يقسمها هي الأخرى الى عدة أشكال سنأتي على ذكرها.

وقد أشار أوستن إلى أن هناك من الأقوال أو العبارات ما يقدم قضايا لا تستند إلى معيار الصدق والكذب، وضرب مثال الزواج كفعل إنجازي يحدث ضمن "طقس عرفي" كما أسماه، بإشارته إلى أن مقولة "قبلت الزواج" كما ذكرنا سابقاً لا تخضع لميزان الصدق والكذب، وهي ليست جملة خبرية مثل "هطل المطر أمس"، بل إنها تؤدي إلى إنجاز فعل معين وهو في هذا المثال فعل الزواج.

الجدير بالملاحظة أن أوستن شرع في تحديد الشروط الواجبة لإنجاز هذا الفعل ومطابقته لمقتضى الحال. فبين أن الفعل السابق يدخل ضمن منظومة تحكمها شروطها الخاصة ليكتب لهذا الفعل النجاح. وقد أشار لاحتمال عدم مطابقة مقتضى الحال إذا اختلت الشروط المرتبطة بالفعل اللفظي<sup>9</sup>.

وفي جانب مطابقة الفعل لمقتضى الحال، عيّن أوستن شروطاً يجب أن تتحقق من أجل نجاح الأقوال الإنجازية، إذ أنها يمكن أن تفشل إذا لم تراعي مقتضى الحال، وذلك حين ربطها بالطقس العرفي للتلفظ ومدى مناسبتها لهذا الطقس من خلال الشروط التالية:

- أن يكون الأشخاص محددون والظروف مناسبة لتنفيذ الطقس العرفي المحدد، وقد أشرنا سابقاً إلى قضية الفعل الإنجازي في مثال الزواج الذي يحدد نجاحه أو فشله.
- أن يتم الالتزام بالطقس العرفي من قبل جميع المشاركين.
- أن يجري تنفيذ الطقس كاملاً، إضافة إلى الصدق في التعامل معه والالتزام بمبادئه<sup>10</sup>.

والملاحظ هنا أن أوستن يتناول هذه الشروط لتحقيق الفعل الكلامي في الحالة المثالية، ولا تختلف هذه الرؤية عن مفهوم أخلاقيات المناقشة التي طرحتها مدرسة فرانكفورت من أجل عملية تواصل ناجح تقتضي الجوانب الآتية:

- "ضرورة توفرها على المعقولية التي يتم إنجازها بفعل جملة مركبة تركيبياً صحيحاً، تحترم قواعد اللغة المستعملة.

<sup>9</sup> Austin, J. L. **How To Do Things With Words**, 2nd Edition, Edited by J. O. Urmson and Marina Sbisa, Harvard University Press, USA, 1962.

<sup>10</sup> سهل ليلي، نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي، التواصل في اللغات والثقافة والاداب، الجزائر، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ع 31، سبتمبر، ص (93-104).

- يتعلق الأمر بحقيقة مضمون القول التي تضمن وظيفياً وصف حالة واقعة مجردة وغير مستوحاة من الخيال.

- يتعلق الأمر بمصادقية التلفظ، باعتبارها وظيفة لإقامة علاقة مباشرة بين الأشخاص، ويتكفل هذا الادعاء بموضوع تطابق الفعل الكلامي مع مقتضيات مخطط معياري سابق معترف به من طرف المجتمع.

- يتعلق الأمر بصدق ما يقال بالقدر الذي يسمح به للمتحدث بالتعبير عن نوايا محددة، وبطريقة صادقة بعيدة عن الكذب والتضليل<sup>11</sup>.

وتتحد هذه المبادئ الأربعة من "الحالة المثالية للكلام"، ومن الشروط اللازمة لخطاب يتوخى احترام معايير الصدق الصارمة، أو ما يطلق عليه "جماعة التواصل غير المحدودة" عند يورغن هابرماس، وهي صورة المجتمع الذي يتواصل فيه أعضاؤه بطريقة سليمة. ويمكن إجمالاً اعتبارها شروطاً لا يستقيم من دونها تواصل عقلائي بين المتحدثين<sup>12</sup>.

والفعل الكلامي مرتبط بوظيفة اللغة بوصفها وسيلة تؤدي أغراضاً مختلفة تبعاً لخصوصية الاستخدام، وهذا دأب التداولية أيضاً والتي اهتمت أكثر بمفهوم التداول الكلامي الناجح الذي يقدم منفعة، إلا أن نظرية الأفعال الكلامية ألفت الضوء على الأثر الذي تحدثه اللغة في العالم بدءاً من المتكلم والمستمع والمقام الذي يربطهما. وترجم أوستن هذه الجوانب في نظرية الأفعال الكلامية عندما ميّز بين الأفعال الكلامية المختلفة، كما رأى أن الفعل الكلامي ذاته يحدث وفقاً لثلاثة عناصر متتالية-لم يشترط أوستن حدوثها جميعاً معاً- وهي الفعل اللفظي، والفعل الإنجازي والفعل التأثيري.

- الفعل اللفظي: هو اللفظ الذي يطلقه المتكلم على هيئة تركيب ذو معنى، جملة أو عبارة مفهومة.

- الفعل الإنجازي: هو الغاية التي تتحقق وفقاً للقصود من الفعل اللفظي، أي أن تجري عملية تنفيذ مرتبطة بمضمون أو هدف الفعل اللفظي.

11 حسن المصدق، هابرماس ومدرسة فرانكفورت، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005. ص 146.  
12 المصدر نفسه.

- الفعل التأثيري: وهو الأثر الذي يتركه الفعل اللفظي في نفس المستمع، وغالباً ما يرتبط بموقف المستمع تجاه القضية التي يؤديها أو يخلفها يطرقها الفعل اللفظي، كمشاعر الذعر أو الرضا أو السكينة أو غيرها وفقاً للفعل اللفظي<sup>13</sup>.

وللتمثيل على المراحل التي يسلكها الفعل الكلامي كما أوردتها أوستن في تقسيمه السابق، لنا أن نتصور أحد الأمثلة الشائعة للاستدلال على طبيعة الفعل، كقول أحدنا:

هطل المطر مساء البارحة

هذه المقولة هي الفعل اللفظي الذي يحمل المعنى ، يليه ثانياً فعل إنجازي متعلق بالمستمع، وأحد التمثيلات الإنجازية للفعل الكلامي أن يخرج المستمع مثلاً ليتحقق من الواقعة ويرى أثر المطر أو ليقوم بعملية ملاحظة بالعين المجردة، والمرحلة الثالثة هي الفعل التأثيري وهي الأثر أو الانطباع الذي ينشأ في نفس المستمع مثل الفرح والابتهاج لسماع الخبر أو العبوس وهذا الأثر لا يمكن التنبؤ به، لكن لا يمكن في الوقت ذاته أن نعيّن ماهيته أو نتوقع نوعه والسبب ببساطه كونه مرتبطاً بعوامل كثيرة، ويختلف تبعاً لتلك العوامل التي تتحدد ضمن المقام المرتبط بها، ولذلك فإن سعادة المستمع بهطول المطر في المثال السابق قد يقابلها شعور آخر لدى مستمع آخر في وقت الحديث أو في مقام آخر، علماً أن أوستن لم يفصل كثيراً في هذا الجانب التأثيري، لذلك لا يمكن أن نربط مفهوم الفعل الكلامي بالفعل التأثيري وفقاً لرؤية واحدة، بمعنى أن الفعل اللفظي يقود إلى فعل إنجازي وتأثيري مختلف باختلاف السياق أو "الطقس العرفي" حسب ما أورد أوستن في مثال الزواج. وهذا التمثيل سنعرّج عليه عند مناقشة نقد كل من دريدا وفتغنشتاين للنظرية. ثم يلي التقسيم السابق أن تحدث أوستن عن تقسيم الفعل الكلامي بحسب شكل العمل الذي يرافق مراحلها الى ثلاثة مراحل أيضاً هي:

- العمل القولي Locutionary Act وهو ذاته العمل الذي يتسبب في اللفظ الذي يحمل المعنى.
- العمل إنجازي Illocutionary Act وهو القوة التي يحملها العمل القولي والتي تسبب الأثر.
- العمل التأثيري Perlocutionary Act وهذا الأخير هو الأثر الذي يتحقق نتيجة العمل القولي<sup>14</sup>.

<sup>13</sup> Austin. J. L. **How To Do Things With Words**, 2nd Edition, Edited by J. O. Urmson and Marina Sbisa, Harvard University Press, USA, 1962.

<sup>14</sup> Ibid.

وآخر تقسيم للأفعال الكلامية وفقاً للكتاب الذي يحوي محاضرات أوستن، يقدم فيه التقسيم وفقاً للأفعال التي يتضمنها القول واعتمد في تصنيفها بناءً قوتها الإنجازية، ووفقاً لنوع الأثر الذي تحدثه. فقد ميز بين خمسة أنواع رئيسية:

أ- الحكميات Verdictives: والتلفظ بها يكون عند إطلاق حكم ما كما يتضح من التسمية، مثل حكم القاضي أو الفرد على قضية ما أو تجاه أمر معين (يأمر، يحكم...)

ب- التنفيذيات Exercitives: وهذا النمط يستخدم عند القيام بأمر ما مثل (التصويت، النصح، التحذير..)

ت- الوعديات أو الإلزاميات Comissives: وهنا الحديث عن الأقوال التي تلزم قائلها- على الأقل لحظة التلفظ كما وصف أوستن- بأمر ما مثل (أعد، التزم، اتعهد...) وهي أقرب في معانيها إلى الحكميات.

ث- السلوكيات Behabitives: وهي متعلق بالجوانب السلوكية أول الأعراف الاجتماعية على حد وصفه مثل الأفعال المعبرة عن (الاعتذار، الشناء، التحدي...).

ج- العرضيات أو الثبوتيات Expositives: ولم يضع أوستن توصيفاً دقيقاً لهذه الأفعال كسابقاتها ولكنه أشار إلى أنها تعبر عن (أذكر، اقتبس من، أشير إلى...) مع إمكان أن تعبر على ما يقارب هذه المعاني<sup>15</sup>.

وحيال هذه التقسيمات عبر أوستن عن عدم رضاه التام عنها في إشارة منه إلى إمكان إعادة النظر فيها، أو ربما تسليماً منه بضرورة الحاجة إلى دراستها مرة أخرى لتفصيلها والتفريق بينها بدقة. ولاحقاً سنبين التقسيم الذي يقدمه سيرل مع التعليل والنقد الذي وجهه لهذا التقسيم.

حاول أوستن تقديم تفسير دقيق لعملية التواصل كونه ينتمي إلى المدرسة التخاطبية التي تعتني بأهمية تحقيق المنفعة وتقديم تفسير ناجح لعملية التواصل اللغوي، فيما يرى فرنسوا أرمينكو أن الإخفاق في تحقيق هذا الهدف من جانب أوستن حصل بسبب عزله لعملية الكلام عن السياقات الفعلية للغة وأمثله التي أخرجته عن المواضيع اللغوية وقصر وظيفة اللغة على عملية الإبلاغ، وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة للمقاصد.

<sup>15</sup> Ibid.

## المحور الثاني: سيرل والخطوط الأوضح للنظرية

أرسى جون رودجر سيرل جوانب هذه النظرية من خلال مساهمته التي انتهت بالنضج والتكوين المنهجي للنظرية انطلاقاً من كتابه أفعال الكلام *Speech Acts* الذي نشر أول مرة 1969. وذلك أن سيرل هو الآخر تأثر بمبادئ الفلسفة التحليلية. فقد عمل سيرل على تطوير أفكار أوستن، التي اتخذها أساساً يمكن البناء عليه، إذ أن هذا الأساس لم يتوقف أوستن سابقاً عن التعديل فيه، ويرى البعض أن موت أوستن كان السبب وراء عدم خلوصه إلى صورة كاملة لهذه النظرية<sup>16</sup>.

بنى سيرل على ما أسلفه أوستن وأضاف إلى النظرية في الوقت ذاته، كما أوضح أنه يختلف معه في تقسيمه للفعل الكلامي، ذلك أن أوستن لم ينظر إلى الأفعال في ذاتها، ولم ينتبه إلى أن اختلاف الفعلين المختلفين في اللفظ غير المترادفين لا يحيلان بالضرورة على متضمنين مختلفين<sup>17</sup>. وهذا الجانب يمثل ثغرة قام سيرل بسدّها حين أشار إلى أن الأفعال قد يختلف لفظها ومضمونها لكنها تتسبب في فعل إنجازي واحد. وللتمثيل لهذه الجزئية يمكن أن نستدل على أن مقولتين مثل "الجو حار جداً اليوم!" و"من فضلك، هل تعرف كيفية تشغيل المكيف؟"، وهما مقولتان تختلفان في اللفظ ولا تترادف واضح بينهما لكنهما بالضرورة يقودان المستمع إلى فعل إنجازي واحد بحسب السياق الذي يرتبطان به، مع الإشارة إلى اختلاف الفعل الإنجازي في سياق مغاير.

وانطلق سيرل في وصفه للفعل الكلامي معتمداً على ما صرّحه أن الكلام حين ينطق هو مرتبط بقواعد أو معايير، بحيث يرتبط الفعل الكلامي بهذه المعايير ليتحدد نتيجة له الفعل الإنجازي<sup>18</sup>. وهذه الفرضية تفتح المجال حول الفعل التأثيري لتؤكد أن اختلاف النتيجة التي يؤدي إليها الفعل اللفظي محكومة بجوانب لغوية وأخرى غير لغوية ناتجة عن التجربة المشتركة بين المتكلمين، ولذلك فإن الفعل الكلامي عدا أنه يخلق قوة تأثير تنتهي بالفعل الإنجازي إلا أنه يمكن أن يقدم إضافة معرفية للمستمع، فقولنا لأحد ما بصورة انفعالية:

فات أو أن الحديث عن الماضي!

<sup>16</sup> طيبطائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الفكر المعاصر، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.

<sup>17</sup> سهل ليلي، نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المهجي، التواصل في اللغات والثقافة والأداب، الجزائر، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ع 31، سبتمبر، ص (93-104).

2012.

<sup>18</sup> Searle. John. R. *Speech Acts: An Essay In The Philosophy Of Language*. Cambridge University Press. New York. 1969.

يشير إلى أن الفعل الكلامي يبدأ بتقديم المعنى من اللفظ وترافقه قوة الفعل التي تصل إلى المستمع كفعل كلامي غير مباشر بصيغة طلب السكوت وعدم الحديث بالأمر المرتبط بسياق الكلام أو التجربة المشتركة والمعرفة السابقة بين المتكلم والمستمع، والفعل الإنجازي هو تحقق هذا الفعل مع الأثر الذي يتركه في نفس المستمع. وهذا الجانب تناولته أيضاً كتب البلاغة العربية وخصوصاً المتعلقة بعلم البيان، وذلك أن الكلام العربي يُقسّم إلى خبري "يتسم بالصدق أو الكذب" وإنشائي يتفرع إلى طلبي أو غير طلبي. وهذا التقسيم متعلق بصورة كبيرة بتفريق سيرل الخبير عن الإنشاء<sup>19</sup>، وتندرج هذه التصنيفات في الكلام العربي ضمن علوم البلاغة وبالأخص علم البيان.

أما جلّ تركيز سيرل في النظرية فقد كان يتعلق بالأفعال الكلامية غير المباشرة وتحديدًا الاستهامية منها، إذ يمكن أن تؤدي غرضاً غير الاستهام كأن تهدف إلى إبراز التأديب في الحديث بغرض الطلب ما يطرق باب الحديث عن أن المتكلم لا يقصد ما يقول على نحو مباشر بقدر ما يقصد أكثر مما يحمل الفعل الكلامي. والأمثلة كثيرة حول الأفعال الإنجازية غير المباشرة خصوصاً في الاستخدام اليومي للغة، إذ أن التواصل بها يكثر بين المتكلمين في الحالة الاعتيادية في التداول، لكنه يقل في السياقات التي يحدث فيها هذا الاستخدام لئلاً في فهم المقصود وخصوصاً السياق المؤسسي أو العلمي<sup>20</sup>.

نقد سيرل التقسيم الذي قدّمه أوستن لأفعال الكلام وذلك لعدة أسباب منها على حدّ وصف سيرل أن أوستن انطلق من افتراض يتعلق بتصنيفه للأفعال ذلك أنّ بعضها لا يدل على فعل داخل في القول، وإنما ينحصر في القول ذاته، وأشار سيرل أيضاً إلى عدم وجود مبادئ واضحة للتمييز بين تلك الأفعال نظراً للالتباس في تصنيفها، كما أشار إلى أن بعض الأفعال الموضوعية في صنف ما لا تفي بتعريفه فمثلاً أسماء الأفعال "سمى، عيّن.." لا تشكل حكماً ما، بل تقيد إنجاز الفعل<sup>21</sup>. وصنّف سيرل أيضاً أفعال الكلام في اللغة ضمن خمسة أنماط رئيسية، ويطرح هذا التقسيم بنحو مختلف عن الذي أسلفه أوستن، معللاً بالنقد الذي وجهه تجاه ذلك التقسيم ووصفه إياه بغير الدقيق، والذي تتداخل فيه أنواع الأفعال بسبب التصنيف الملتبس، وكان تقسيم سيرل لها على النحو الآتي:

أ- الإثباتيات Assertives: وهي الأفعال التي تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها ومن أمثلتها أفعال التقرير والاستنتاج.

19 عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013.  
20 أن رويول، جاك وموشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغونس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003.  
21 عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013.

ب- التوجيهيات Directives: وهي الأفعال التي تمثل محاولات المتكلم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما ومن أمثلتها أفعال الطلب والسؤال.

ت- الوعديات Comissives: وهي الأفعال التي تلزم المتكلم بالنهوض أو تلزمه بالقيام بسلسلة من الأفعال المستقبلية ومن أمثلتها أفعال العرض والوعد والوعيد.

ث- البوحيات Expressives: وهي الأفعال التي تعبر عن حالة نفسية، والتي يبوح بها أو يتلفظ بها للتعبير عن موقفه أو شعوره تجاه أمر ما، ومن أمثلتها الشكر والاعتذار والترحيب والتهنئة.

ج- التصريحيات Declaratives: وهي الأفعال التي تليها تغيرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالباً ما تعتمد على طقوس اجتماعية غير لغوية تتسم بالإطالة ومن أمثلتها أفعال وإعلان الحرب والزواج وأفعال الطرد أو الإقالة من العمل<sup>22</sup>.

ويمكن ردّ مجمل الاختلاف بين التقسيم السابق وتقسيم أوستن الى النقد الذي وجهه سيرل، وعلل هذا الاختلاف في بعدم رضاه تجاه تقسيم أوستن بحجة أنه غير دقيق علمياً كما أنه يثير اللبس ولم يراعى فيه التفريق الواضح بينها.

### المحور الثالث: نظرية الأفعال الكلامية بعد أوستن وسيرل

أعطى أوستن وسيرل هذه النظرية بعدها الفلسفي والعلمي انطلاقاً من المبادئ الأساسية لفلسفة اللغة العادية، ووفقاً لرؤية فتغنشتاين التي تُفيد بأنه يمكن إلى حد ما توظيف اللغة العادية في حل المشكلات الفلسفية، وعن طريق النظر في العلاقات التي تنشئ خارج اللغة ويكون دور اللغة فيها وسيطاً، وهذه أحد التحديات التي كانت ترفضها الفلسفة الوضعية التي اعتبرت أن اللغات الطبيعية لا يمكن أن تؤدي غرض البحث العلمي بحجة أنها ملتبسة يشوبها الغموض، و بالتالي فإن الحل هو الاعتماد على اللغة الصناعية الرياضية أو الصورية في تمثيل العالم ودراسة الفكر واللغة. إلا أن نظرية الأفعال الكلامية فتحت مجال الدراسة لمفاهيم الصدق والكذب في القضية العلمية دون الاقتصار على اللغة العلمية أو الرمزية بل بواسطة اللغة العادية Ordinary Language. وهذه العملية لا تتحقق إلا من خلال تحليل الظواهر اللغوية والصيغ الكلامية التي ينشأ عنها الفعل الكلامي. وقد راعت النظرية السياقات التي تلقي بظلالها على عملية التواصل

<sup>22</sup> Searle. John. R. *Speech Acts: An Essay In The Philosophy Of Language*. Cambridge University Press. New York. 1969.

الكلامي ففتحكم بالمعاني التي يعرفها المتكلمون من تقسيمات أوستن وسيرل للأفعال الكلامية. بينما كانت مساهمة النظرية الأبرز هي التفريق بين مفهوم القضية والعبارة، بمعنى أنه يمكن التعبير عن أي قضية بعبارة أو جملة تامة المعنى، إلا أنه هناك جمل تامة أو عبارات لا تحمل أي قضية أو معنى إطلاقاً رغم أنها صحيحة ومراعية للتركيب وقواعد اللغة.

وليس ببعيد عن الطبيعة الإنجازية والتأثيرية للغة، وعلاقة اللغة بالعالم وكونها أداة إنتاج في جانب الاستعمال التواصلية وتحقيق أغراض جماعة يتداولونها. فالفيلسوف العقلاني ديكرت يرى أن الإنسان يولد ولديه بنيات لغوية تصوّرية مجهزة للاستعمال، وهذه الرؤية أكدها تشومسكي من خلال فكرة فطرية اللغة، وأن اللغة نظام إبداعي يظهر من خلال الكلام بواسطة مجموعة من الرموز "الأصوات". لذلك تصبح اللغة نشاطاً يقوم بتوليد إنتاج مادي ممثل له بالأصوات، ونشاط آخر هو وظيفة هذه الأصوات في دلالتها على ما يحتويه الذهن<sup>23</sup>. فهذه الرؤية التي استلهمها تشومسكي من الفلسفة الديكارتية مهمة جداً في بيان طبيعة اللغة كنظام ذهني فطري مكتمل، له أثر في الجانب المادي الخارجي يتمثل في كونها أحد أدوات الإنتاج، وهو التصور القريب إلى التصور الأوستيني من حيث النظر تجاه اللغة كوسيلة لها أفعالها الإنجازية في الواقع. أما الرؤية التشومسكية فتتصف بالنظر إلى اللغة من منظور توليدي، والمتمثل في وإنتاج القواعد والأسس التي تتضمنها المعرفة اللغوية ودورها في الإنتاج المادي.

وقد ساهمت جهود بول غرايس (1913 - 1988م)، التي كانت جُلّها حول تحليل المعنى لدى المتكلم أو ما يسمى بالنظرية القصدية، وكان أهم ما قدمه أن أعاد إلقاء "محاضرات وليام جيمس" في هارفارد عام 1957، ومن جهوده أيضاً في هذا المجال مناقشته لمفهوم الاقتضاء التخاطبي في العملية التواصلية التي ينطلق فيها المتخاطبون من معطيات أساسية ومعروفة لا تحتاج لتصريح وتشكل خلفية لنجاح التواصل<sup>24</sup>. ويمكن التمثيل على هذا التعاون الذي يتسم بالصدق والشفافية من جانب المتكلمين شرطاً لنجاحه، مثل قولنا لأحد:

أغلق الباب!

<sup>23</sup> فاتح زيوان، فضيلة فاسخ، إنتاج الفعل اللغوي بين توليدية تشومسكي وإنجازية أوستين، المنهل، تاريخ النشر: 1-7-2016. تاريخ الاقتباس: 27-3-2018.

رابط المقال: <https://platform.almanhal.com/Details/Article/105942>

<sup>24</sup> عمر بو قمر، البحث التداولي من الإرهاصات التوليدية إلى الأفعال الكلامية، الممارسات اللغوية، الجزائر، جامعة الشلف، ع 30، ص (157 - 174)، 2014.

فهذا القول يحيلنا حسب تصوّر بول غرايس إلى افتراض مسبق هو أن الباب مفتوح وليس مغلقاً لئلا يتعارض مع الفعل القولوي، إضافة الى شفافية المستمع وتجاوبه، وكذلك عدم وجود خداع من قبل المتكلم، وتعد هذه الشروط ضرورية لنجاح عملية التواصل، وقد انبثق منها مبدأ التعاون الذي ينادي به غرايس The Cooperative Principle. ومن هذه الجهود التي بذلها غرايس يمكن ملاحظة الطريق الجديد الذي بناه على أساس المدرسة التخاطبية، محاولاً سرد الشروط أو المبادئ التي يمكن أن تتيح إنجاز عملية التواصل الكلامي وكل هذه المساهمات صبّت في جانب نظرية الأفعال الكلامية التي يعود الفضل في التأسيس لها لجون أوستن.

### المحور الرابع: نقد النظرية

إنّ هذه النظرية كغيرها من النظريات لم تقلت من النقد الذي وجه لها، نظراً لوظيفة النقد الجوهرية التي تتمثل أساساً في إلقاء الضوء على ثغراتها أو عيوبها ودوره في إبراز التصورات الجديدة التي يمكن أن تحل بعض الإشكاليات في النظرية. فعلى سبيل المثال نجد النقد الفلسفي لجاك دريدا الذي يرى أن أفعال الكلام شيء يستحيل معرفته والجزم به، وأثر التلفظ لقول ما لا يمكن التنبؤ به. في محاولة منه للإشارة الى الطبيعة التي يقوم عليها دور المعنى وراء اللغة، وهو يرى بهذه العبارة أن أثر الفعل الكلامي مفتوح على احتمالات لا محدودة إذا ما أردنا إدخال البعد الفلسفي، ولذلك فإن الطبيعة التي تلفظ بها عبارات ما، هي بالضرورة مرتبطة بالسياق المحيط بها.

من المؤكد أن الفعل الكلامي يقدم أثراً مختلفاً من سياق لآخر، ويمكن أن تؤدي الكلمة الواحدة إلى عدة أفعال وذلك لخصوصية العوامل الخارجية الملازمة للحظة التلفظ، لكن هذا الجانب الذي نقده دريدا هو بالأصل ما قامت عليه تقسيمات الفعل الكلامي. وقد حدد أوستن وسيرل طبيعة الأثر الذي يحدثه القول مع الإشارة منهما إلا أن المعنى يصل إلى المستمع كما يجب أو كما يقتضي الطقس الذي يحدث فيه التواصل.

إن هذه المقولة التي طرحها دريدا بخصوص الفعل الكلامي وفقاً لما سلف مرتبطة بطبيعة المعنى الإشكالية، مع التسليم بأن المعنى مفهوم ذهني لا يمكن معرفة طبيعته، نظراً لتعريفاته الكثيرة التي تشير الى قصور اللغة في حصره. لكن اللغة من جانبها التداولي تخلق حالة من الفهم بين المتكلم والمستمع في الحالة المثالية للتواصل لتحقيق الغرض المنشود. ولذلك وإن لم نستطع معرفة الفعل الناتج عن أثر التلفظ إلا أن هذا الفعل

مرتبط به وهو ناتج عنه وتزداد احتمالية توقعه بتجريده من الاعتبارات الخارجة عن "طقسه العرفي". وهذا المعنى في التداول اللغوي أقرب إلى أن يشترك في فهمه المتكلم والمستمع وفقاً للنظرية.

فيما أورد فتغنشتاين عن موقفه تجاه علاقة اللغة بالواقع، فهو يرى أنه لا يمكن أن تتحكم اللغة بالواقع لأن الكلمات ذات معنى فضفاض. ويندرج هذا النقد ضمن منظومة المعالجة التي ناقشها فتغنشتاين في سبيل البحث في علاقة اللغة بالفكر والواقع. باعتماده على عنصرين: الأول يتمثل في كون "المعنى في اللغة لا يتحقق إلا بعملية رسم وتمثيل منطقي للواقع بواسطة الفكر"، والثاني هو أن "الوضوح والمعنى يمكن إقامتهما بطريقة آلية ومنتظمة ونهائية أيضاً"<sup>25</sup>. ويمكن ملاحظة الاعتماد على المبادئ والقوانين الفيزيائية وحتى الرياضية في فهم المنطق والعالم، ولكن إشكالية اللغة ذاتها ضمن هذه العلاقة تجعل منها جزءاً من المشكلة الفلسفية الأوسع، والسبب الآخر لهذه الرؤية من جانب فتغنشتاين هي تأثره بفلسفة فريغه وراسل قبله وخصوصاً ما أورده فريغه حول الخلل الذي يشوب اللغة ما يجعلها غير متطابقة مع المنطق، وبالتالي تنشأ الحاجة إلى اللغة الرمزية ويشبّه راسل الحاجة إلى هذه اللغة بحاجة العين للمجهر<sup>26</sup>.

وهذا النقد من جانب فتغنشتاين قريب إلى حد ما أورده في نقد دريدا للنظرية، على الأقل فيما يخص الطرف الذي يتلقى الفعل اللفظي، كما يقترح كل من فتغنشتاين ودريدا بهذه الرؤية النقدية أن هناك دائماً جزء غائب من المعنى الذي يحمله فعل التلطف. لكن الجزئية المميزة هنا أن المعنى ذاته لا يمكن أن تحيط به الكلمة، خصوصاً أن الكلمة تحيل إلى معنى مختلف مع تغير الزمان أو المكان أو السياق الذي تلفظ به أو وفقاً لعوامل أخرى، وهنا يجدر بنا أن نتصور إشكالية المعنى وعلاقته بالكلمة أو بالصوت.

والعلاقة بين الكلمة والمعنى تحيلنا لأن نتأمل الطبيعة الذهنية في فهم تصور ما أو ربط مفهوم ما بالصورة الصوتية وتشكيل الدليل، وهذه الإحالة هي إسقاط للإشكالية التي صرفت اهتمام الفلسفة عن دراسة العالم باستخدام اللغة إلى دراسة اللغة ذاتها والوقوع في إشكالاتها الداخلية. وهذا المحك هو المحرك الذي يوضح اختلاف الموقف الذي تتخذه الوضعية المنطقية تجاه اللغات الطبيعية التي تتسم بالغموض بحسب رؤيتهم وبذلك يتجهون إلى اللغات الصناعية في التحليل، لكن هذا الغموض بحسب فتغنشتاين هو جزء من اللغة لكنه لا يحرمها من دورها من أن تكون صورة للواقع أو أن تكون أداة لفهم العالم.

<sup>25</sup> حمود، جمال، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009. ص 305.

<sup>26</sup> المصدر نفسه.

لكن العلاقة بين اللغة والواقع كما طرحتها في السطور السابقة تقتضي أن نتناول اللغة بصفاتها مؤثرة في الواقع مع الإشارة إلى أن هذا التأثير يختلف باختلاف عوامل كثيرة كزمن التلفظ ومكانه أو ربما الحالة النفسية لأحد أطراف العلاقة اللغوية (المتكلم - المستمع). وما يثير الاهتمام هنا هو تركيز فتغنشتاين ودريدا في النقد الذي أسلفته على الجانب الفلسفي وراء اللغة وعلاقتها بالفكر وطبيعتها في عكسه أو نقله. لكن هذا التحليل الفلسفي حول إشكالية المعنى وأن كونه غير واضح بصورة مثالية نظراً لمرونة الكلمات (الأصوات) في الإحالة إليه أو أنه أشمل من أن تحمله أصوات اللغة بدقة، يخرج عن رؤية النظرية وأطرها المطروحة، لأن هذا الجانب قائم على افتراض النظرية توفر حالة من التعاون في الخطاب التداولي أساسه الفهم بين المتكلم والمستمع، كما خرج هذا النقد على مفهوم اللغة ذاته الذي يراه ابن جني "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، وهذه الأغراض يعبر عنها بأقوال قسّمها أوستن وسييرل إلى أفعال كلامية.

أما نقد بيير بورديو (1930 - 2002م) فيمكن أن نتوجس منه معارضته لمفهوم الطقس العرفي بحسب وصفه أن "الزواج العربي يتم في إطار استراتيجيات زواجية أوسع، تستند إلى إيديولوجيا تشجع على وحدة الجماعة وتفضل إعادة إنتاج ومراكمة الرأسمال الرمزي (الشرف) والرأسمال الاقتصادي داخل الجماعة"<sup>27</sup>. وبالتالي اختلف مفهوم الطقس العرفي عن الذي اقترحه أوستن. ويتضح من المقولة السابقة اختلاف بورديو مع أوستن على تحديد مفهوم الطقس العرفي ذاته وأشكلته، وهنا بالذات تتضح علاقته بتحديد الفعل الإنجازي وطبيعته وأغراضه على حد سواء.

## خاتمة

أشرنا في البداية إلى جهود أوستن التي رسمت إطاراً لمفهوم الفعل الكلامي وخصوصاً أن له أثر انجازي، والجدير بالذكر أنه صرح بأن أنواع الأفعال الكلامية التي طرحها تحتاج إلى التوضيح أكثر. لذلك كان دور سييرل هو وضع النقاط على الحروف، إذ صنّف الأفعال الكلامية وفقاً للأفعال الإنجازية الناتجة عنها. أما أبرز ما جاءت به النظرية فهو ما نتج عن اختلاف أوستن مع مقولة أن جميع الجمل خبرية، بل قسمها إلى خبرية وإنشائية. وفتح بهذا التقسيم الباب أمام مفهوم القضية ومفاهيم الصدق والكذب التي لا تنطبق على الجمل الإنشائية، نظراً لأن هذه القضايا تحقق وظيفة إنجازية وتترك أثراً أو آثاراً ما بعد فعل التلفظ، وقد ترافق هذه الآثار إضافات معرفية. ولم تحصر النظرية جانب التأثير ضمن إطار معين، وإنما أكدت

<sup>27</sup> Pierre Mounier, Pierre Bourdieu, *une introduction*, Paris, Pocket/La Découverte, 2001. P 29.

بالمقابل على حدوث الفعل الإنجازي وربطته بالسياق خارج اللغة والذي تدخل فيه المعارف والتجارب السابقة للمتكلمين بها.

اكتسبت النظرية أهمية بالغة تتضح أيضاً من خلال هذا النقد الذي أعاد النظر في مفهوم اللغة وجانبها التداولي فيما يخص فضاء الاستعمال، وعلاقة اللغة بالمنطق والعلم وشكل هذه العلاقة. إذ تحاول هذه النظرية معالجة الإشكالات التي تحول دون فهم الواقع والذي تلعب فيه اللغة دوراً فاعلاً، رغم أن هذا الدور مرتبط دلاليًا بفهم الواقع. إضافة إلى التصورات التي قدمتها حيال جدلية العلاقة بين اللغة والعالم التي تتصف بالتأثر والتأثير بينهما.

#### المصادر والمراجع

##### المصادر العربية

- ابن جني، عثمان بن جني، الخصائص، الجزء الأول، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، 1993.
- بو قمر، عمر، البحث التداولي من الإرهاصات التأويلية إلى الأفعال الكلامية، الممارسات اللغوية، الجزائر، جامعة الشلف، ع 30، ص (157 - 174)، 2014.
- الجزر، هني محمد، القضية الحملية الأرسطية وموقف المنطق الرمزي منها (فريجة نموذجاً)، مجلة جامعة دمشق، مج، 30، ع 4+3، 2014.
- حمود، جمال، فلسفة اللغة عند لودفيغ فثغنشتاين، بيروت، دار العربية للعلوم ناشرون، 2009.
- روبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغونس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003.
- زيوان، فاتح، وفاسخ، فضيلة، إنتاج الفعل اللغوي بين توليدية تشومسكي وإنجازية أوستين، المنهل، تاريخ النشر: 1-7-2016. تاريخ الاقتباس: 27-3-2018.
- رابط المقال: <https://platform.almanhal.com/Details/Article/105942>
- سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، دار العربية للعلوم، بيروت، ط 1، 2006.
- طيطباتي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الفكر المعاصر، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.
- عبد السلام، بسمينة، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن، مجلة المخبر، الجزائر، جامعة بسكرة، ع 10، ص (99 - 115)، 2014.
- فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013.
- ليلى، سهل، نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي، التواصل في اللغات والثقافة والآداب، الجزائر، جامعة محمد خيضر - بسكرة، ع 31، سبتمبر، ص (93 - 104)، 2012.
- المصدق، حسن، هابرمس ومدرسة فرانكفورت، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.

##### المصادر الأجنبية

- Austin. J. L. *How To Do Things With Words*, 2<sup>nd</sup> Edition, Edited by J. O. Urmson and Marina Sbisa, Harvard University Press, USA, 1962.
- Searle. John. R. *Speech Acts: An Essay In The Philosophy Of Language*. Cambridge University Press. New York. 1969.
- Pierre Mounier, Pierre Bourdieu, *une introduction*, Paris, Pocket/La Découverte, 2001.